

السلطة تنجب الفساد

نانسي سالفاتو

موقع قضايا أمن الأسرة

16 سبتمبر 2009

Political Science 101: Power Breeds Corruption

By Nancy Salvato

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس

نانسي سالفاتو

رئيسة برنامج التثقيف
الدستوري في مشروع
الأساسيات.

تعرف مدينة شيكاغو في ولاية ايلينوي بأنها (مدينة الرياح). ولا يعود سبب هذه التسمية إلى كثرة الرياح فيها وحسب. وإنما إلى السياسيين الفارغين الذين أنجبتهم هذه المدينة أيضاً. فقد بدأ التاريخ الفضائي للفساد السياسي في مدينة

شيكاغو في القرن التاسع عشر. في وقت تقترب بدايته من حريق شيكاغو (عام 1871). ولا يزال الفساد مستمرا إلى يومنا هذا. وآخر ما شهدناه في هذا التاريخ محاولة حاكم ايلينوي «بيع» مقعد الرئيس اوباما في مجلس الشيوخ؛ ولكن ذلك لا يعني أن ايلينوي هي الوحيدة في الفساد السياسي. وإنما توجد ولايات أخرى تساويها أو تتفوق عليها في ذلك.

في مقال بعنوان (مستنقع الفساد) نشرته صحيفة (وول ستريت جورنال) جاء أن «ولاية لويزيانا حلت في المرتبة الرابعة أمريكا في عدد المسؤولين المنتخبين المدانين بجريمة ما نسبة إلى عدد السكان (جاءت ولاية ميسيسيبي في المرتبة الأولى)». وعند تصفح قائمة أسماء السياسيين المتلقين للرشاوى يشعر المرء بأنه يقرأ موسوعة حول أعلام المجتمع؛ فأخر هؤلاء السياسيين كان وليم جيفرسون (William Jefferson). عضو مجلس النواب عن الديمقراطيين. حيث أدين بتلقي رشاوى (11 من أصل 16 تهمة) في قضية عثر فيها على 90 ألف دولار مخبأة في ثلاجته. وعلى الرغم من ذلك. ليس الفساد أمرا تتفرد به المرحلة التاريخية التي يصطلح عليها بـ«العصر الحديث». إذ نجد المؤرخين ينقلون لنا أنه منذ بدايات الاستيطان الأوروبي في أمريكا وصولاً إلى ثورتها. شهدت المستعمرات الأمريكية حالات فاضحة من الفساد؛ إذ كان الحكام الذين يعينون من قبل التاج البريطاني ومن يماثلهم من المسؤولين الحكوميين المعينين يستخدمون مناصبهم الرسمية لتحقيق

السلطة تنجب الفساد

الثروة بأية صورة ممكنة، وكان الكثير من هؤلاء يعتبر هذا السلوك امتيازاً تمنحهم إياه مناصبهم.

من الواضح أن الفساد لم يكن أمراً لم يألفه مؤسسو أمريكا، ولا شك في أنهم عملوا كل ما في وسعهم لإيقاف نفوذه في النظام الحكومي الجديد الذي أسسوه. وكان تقسيم السلطات بين فروع الحكومة، بين مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وبين الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات، مصمماً على نحو يحول دون حصول أي جماعة على السلطة العليا. وقد كتب جيمس ماديسون¹ في (مقالات الفيدرالي):

لو كان البشر ملائكة لما كان وجود الحكومة ضرورياً. ولو كان الملائكة مكلفين بحكم البشر لما كانت هنالك ضرورة لوجود ضوابط داخلية أو خارجية على عمل الحكومة. وفي تصميم حكومة يضطلع بها البشر لحكم البشر تكمن الصعوبة الكبرى في ما يلي: يجب في البدء تمكين الحكومة من السيطرة على المحكوم، ثم ينبغي إلزامها بالسيطرة على نفسها. ولا شك في أن الاعتماد على الشعب يوفر السيطرة الأساسية على الحكومة؛ لكن الأيام قد علمت الجنس البشري ضرورة اتخاذ إجراءات وقائية مساعدة.

ويؤثر عن ماديسون، وهو الذي يدعى «أبو الدستور»، قوله أيضاً:

يكن جوهر الحكومة في السلطة؛ والسلطة، كما ينبغي أن تكون بأيدي البشر. ستكون عرضة بشكل دائم لإساءة الاستخدام.

1) جيمس ماديسون (James Madison) - (1751-1836): الرئيس الأمريكي الرابع (1809-1817)، يعرف بـ(أبو الدستور) نظراً لدوره الكبير في وضع أسس الدستور الأمريكي. قام ماديسون، بالاشتراك مع الكساندر هاميلتون وجون جاي، بكتابة سلسلة مقالات حملت عنوان (الفيدرالي) لنقض ادعاءات المعارضين لإقرار الدستور الأمريكي، ولا تزال المحكمة العليا الأمريكية تستخدمها كمرجع لفهم الدستور. (المترجم)

السلطة تنجب الفساد

«نحن الشعب» عبارة منحت الشرعية للدستور الأمريكي الذي أعطى الحكومة الفيدرالية سلطات شديدة التحديد بهدف حماية حق الشعب الأمريكي في الحياة والحرية والسعي إلى السعادة. أما السلطات التي لم يرد نص دستوري بإيصالها إلى الحكومة الفيدرالية فقد تركت للولايات والناس الذين يسكنون فيها. فلم تكن الحكومة مسؤولة عن توفير رغباتنا واحتياجاتنا؛ وإنما كانت كما يقول فرانكلين¹:

الدستور الأمريكي لا يضمن السعادة، وإنما يضمن السعي إليها. إذ عليك أن تلحق بها بنفسك.

وبحسب الدكتورة ريتشيل إيرنفيلد (Rachel Ehrenfeld)، مدير المركز الأمريكي للديمقراطية، لم يكن الفساد أمراً يختص بالعالم الجديد (الأمريكيين). وإنما، في الواقع، «كان الفساد في السياسة والأعمال بمثابة أمر لا يمكن الحيلولة دونه في العالم القديم».

كما تواجد الفساد ضمن المجتمعات القديمة، وساهم في سقوط الامبراطورية الرومانية. حيث حصل الحرس البريتوري بالتدرج على الشرعية الكاملة في اختيار الامبراطور الجديد. والذي بدوره أحسن إلى الحرس الذي أصبح أكثر نفوذاً، مما جعل تلك الحلقة المغلقة تستمر. ثم قام الجيش (عام 186) بتضييق الخناق على الامبراطور الجديد، ليبدأ تقليد يقضي ببيع العرش إلى من يدفع السعر الأعلى؛ وخلال القرن التالي كان لروما 37 امبراطورا مختلفا نزل 25 منهم عن العرش بواسطة الاغتيال.

إن هذا الدرس التاريخي شديد البساطة: السلطة تنجب الفساد. وقد أدرك مؤسسو أمريكا أنه لو أمكنهم الحد من مدى السلطة الممنوحة للحكومة فسيكون بإمكانهم

1) بنجامين فرانكلين (Benjamin Franklin) - (1706-1790): سياسي أمريكي ساهم في استقلال الولايات المتحدة الأمريكية ومنحها الدعم الخارجي. كان عنصراً مهماً في حشد موافقة وفود الولايات المشاركة في مؤتمر التأسيس على إعطاء أصواتهم للدستور. وكان إلى جانب عمله في السياسة: صحفياً، وفيلسوفاً، وفيزيائياً.

السلطة تنجب الفساد

الحد من حجم الفساد فيها. لكننا نشهد اليوم أكبر توسع لسلطة الحكومة في التاريخ. وأولئك الذين لا يتعلمون من التاريخ محكوم عليهم بأن يعيدوه. أما الآن فأطلب منك عزيزي القارئ أن تتأمل هذه الفكرة لوهلة: السلطة تنجب الفساد؛ فهل تتفق مع ذلك؟ فكر في إحدى لحظات حياتك عندما...